الكتاب الجديد

مناهج الدراسة الادبية

تأليف الدكتور شكري فيصل

منشورات الخانجي بمصر – ٢٤٣ ص

•

كنت أود أن لا أتصدى لهذا الكتاب بالنقد والتعريف ، لولا أن فيه لوناً شاع في العهد الماضي القريب حتى أفسد الحياة والأدب ، ولم يتحرج من التسلل إلى البحث الجامعي الذي ينبغي ان يكون محرراً خالصاً لوجه العلم والحق ؛ وظهور هذا الكتاب في هذه الآونة التي يرفع فيها الستار عن ألوان الملق والمصانعة ، حجة بالغة على أن الدراسة الجامعية لم تسلم ايضاً من داء وبيل كان من أشد الادواء في حياتنا الاجتماعية والثقافية .

أما موضوع البحث فدراسة المناهج والقواعد التي غلبت على الدراسة الادبية والنظريات المتباينة ، ثم امتحان قدرتها ومعرفة حظها من الخطأ والصواب حتى إذا انتهى الباحث منها خلص إلى وضع منهاج خاص للدراسة الأدبية وفق ما وصل اليه اجتهاده ومراده .

ولقد اقتضت التقاليد أن لا تقدم الموضوعات الجامعية لأخذ الالقاب العلمية إلا اذا توافرت فيها الجدة والدقة وأدت الى رأي جديد وحقيقة ملموسة ، أو كشفت عن غامض مبهم ، على ان لا تكون دراسةً لمعاصر من الأحياء . أما الاستاذ شكري فيصل فلم يعبأ بهذه التقاليد ، وكان يهون الامر لو انه جعل مدار بحثه على طائفة من المؤلفين لم يكن فيهم استاذه المشرف على دراسته وامتحانه ، وهو الخصم والحكم بالموضوع ، سواء أكان مخالفاً لفكرته أم موافقاً لغايته . ولم يغب عن اذهاننا بعد ان طالباً مصرياً تقدم منذ عامين الى العالم الجامعي بروفنسال في جامعة باريس ببحثٍ عن توفيق الحكيم ليحوز فيه لقباً علمياً فَرُدَّ هذا البحث لأنه موضوعٌ عن معاصر من الاحياء .

قال المؤلف الفاضل في التعريف بكتابه انه لم يجعل من بحثه دراسة موصولة بمناهج الآداب الاجنبية مقيسةً عليها ، لأن المناهج تستمد خطوطها وألوانها من واقع الامور التي تعالجها . والادب العربي له واقعه وتاريخه ولا يستجيب لأنماط الدراسة في الآداب الاخرى ولا ينقاس عليها . فلا ادري كيف أجاز المؤلف لنفسه هذا المذهب وهو عزل أدبنا عن أدب الغرب وزعمه بانه لا يستجيب لغيره ، فكيف يقال هذا وأدبنا اليوم في نهجه الحديث وتطوره المعاصر إنما يتخذ من طراز الدراسة الادبية في الغرب مثالاً يحتذى ؟ وهل غاب عن علم المؤلف ان للأدب الفرنسي مثلاً ، وهو اقرب الآداب الينا ، مناهج للبحث والدراسة متعددة الفائدة منوّعة الاصول والطريقة ؟ ولقد كانت المناهج بعد عصر النهضة في اوربة مقصورة على العلوم الطبيعية والرياضيات ثم أدخلها الفلاسفة والمؤرخون بالفلسفة والتاريخ وجعلوا لها مناهج خاصة . وحذا حذوهم الباحثون المعاصرون . فمن خطأ الرأي ان نزعم ان ادبنا لا يستجيب لنمط الدراسة في الآداب الاخرى ولا يقاس عليها . فلو صح هذا لبقي ادبنا في معزل عن ادب العالم منطوياً على نفسه ، ولعاد الى الصحراء حيث كان ، ولولا انه مستجيب للتطور لما دخلت فيه المقارنة والموازنة بالتحليل والتعليل ، ولما ظهرت فيه اليقظات الحديثة وهذه النزعات التي تناولته من قريب او من بعيد .

ومن عجب ان يتناول المؤلف بالذكر من ألفوا كتباً في تاريخ الأدب العربي ، وينسى من كان أولهم وأسبقهم وليس دون أفضلهم ، وهو مصطفى صادق الرافعي ، وكتابه في تاريخ آداب العرب يعرفه الباحثون والمحصون . وقد اعترف الدكتور طه حسين بكتابه « في الأدب الجاهلي » ، وكانت بينهما خصومة مشهورة بأنه لم يعجبه أحد ممن ألفوا يومذاك في الأدب العربي إلا الرافعي « فهو قد فطن لما يمكن ان يكون من تأثير القصص في انتحال الشعر وإضافته الى القدماء كما فطن لأشياء اخرى قيّمة أحاط بها إحاطة حسنة في الجزء الأول من كتابه » .

لقد أعرض المؤلف عن هذا الكتاب القيم ، وجعل كتاب جرجي زيدان هو المثال للنظرية المدرسية . وفي العقد الثاني من القرن العشرين برز طه حسين في كتابيه « ذكرى ابي العلاء » و « في الأدب الجاهلي » فعدّه المؤلف ذا اثرٍ بعيد في تطور النظرية المدرسية . وفي العقد الثالث ظهر الاستاذ احمد امين في مؤلفاته « فجر الاسلام وضحاه » . وقد رأى المؤلف في طرز هذه الدراسة الأدبية مخالفة للنظرية المدرسية فأشار اليها وقال إن صاحبها « لم يعالج منهجاً جديداً في تاريخ الأدب العربي وإن كان منهجه في تاريخ الحياة العقلية انتهى الى فيضٍ من

الجدوى والخير على الأدب العربي » (ص ٦١) .

وإذ كان المؤلف بسبيل من نقد المناهج فقد وقف عند بحث لاستاذه الجليل الشيخ امين الخولي عنوانه « في الأدب المصري ، فكرة ومنهج » وعدّ النظرية الاقليمية التي يدعو اليها صاحب البحث مرحلة جديدة في العقد الرابع من هذا القرن ، خالف فيها من سبقوه ، فحمد التلميذ لأستاذه هذه المخالفة ولكنه اختلف معه في « البناء والتطابق » وقد سمى « النظرية الأقليمية » فكرة الغد فجعلها موضع نقاش طويل اخذ نصف الكتاب على التقريب ، خالطاً بين المؤلفين في التاريخ الادبي وبين واضع المنهاج أو صاحب الاقليمية، فكان أشبه بمن يخلط بين صاحب نظرية ما وبين جهود أناسٍ عملوا وظهرت آثارهم، فاستنبط الدارس منها المناهج التي اتبعوها أو ابتدعوها .

وفي النهاية حط المؤلف الفاضل فكره على اصول في المنهج الجديد الذي اقترحه لتأليف الادب العربي ، غير ان المجال لا يتسع لنقد هذا المقترح الذي يجافي المنطق والواقع في كثير من قواعده ومراميه . وللقارىء عليّ حق اللوم إذ اني لم اسارع الى تبيان ما يريد مؤلف الكتاب من النظرية المدرسية التي كادت لا تخلو صفحة في بحثه من ذكرها، فقد رددها مئات المرات كما ردّد « اللازمة » التي علقت اسلوبه وهي « وآية ذلك » في اكثر الصفحات ومثلها كلمة « تستهدف ».

أما هذه النظرية فهي ان التأليف في تاريخ الادب العربي كان على خطأ في نظره لانه جرى وفاق التقسيم حسب العصور والاحداث الجسام ، ولهذا يقترح في كتابه تغيير هذا المنهاج بالتعاون مع المناهج والنظريات التي سيطرت على الادب . والمؤلف حين يعرضها أو ينقضها يسوقه الاستطراد الى تبيان هدفه في عدة فصول فيقول بعد ان يفصّل القول المكرور « إن المنهج الذي يجب ان نصطنعه يقوم على الانتقال من الفردي الى العام ومن الجزئي الى الكلي، فلا يبقى ادبنا محدوداً لانه لم يستطع ان يزاوج بين الفكر والتعبير » .

وقد رأى المؤلف « أن التعرف إلى المدارس الأدبية هو غاية التاريخ الأدبي وأنه لا دراسة العصور ولا الاقاليم ولا الثقافات ولا الأنواع الأدبية تعطي لتاريخ الأدب العربي شكله وموضوعه أو ماديته ومنهاجه، فهذه الاشياء كلها ليست إلا وسائل لهذه الغاية البعيدة ، فلا بد إذن من الدراسة الجانبية والدراسة الأصلية » فاذا رأينا المؤلف ماضياً في التكرار والترادف، منساقاً مع تعابير غير محددة، ضقنا بهذا الأداء الانشائي المنمق الذي يأباه الأسلوب الجديد ولا يرضاه البحث العلمي، إذ لا نصل إلى فكرة محددة إلا بعد قراءة عديد من الصفحات . ويلاحظ أن هذا البحث قد خلا من الاتصال بالأدب الغربي ومناهجه ، وأية دراسة عربية جامعية تُصنع في أيامنا ينبغي انْ لا تخلو من مقارنة واستعانة بما عند الغربيين لا سيما مثل هذا البحث . فقد ابتدع الغربيون دراسة لمناهج الأدب تتجدد وتتزود من كل مفيد ، فما اجدرنا بالاقتباس منها ليبدو الفضل والأثر في التمازج الفكري والثقافي ، وقد لا يخلو بحث جامعي في أيامنا من مثل هذا، ولو كان فقهاً، فكيف بالأدب ومناهجه؟

وما كان أغنى المؤلف الجامعي عن اصطناع هذا الموضوع الذي أدخل فيه أستاذه الكبير ، المتأبي على هذا اللون في البحث والمتجافي عن كل ما لا يحمل الطابع العلمي المحض .

وبعد فهذه كلمة حق أردت بها الاخلاص للبحث والحفز والتأميل للمؤلف في أن يصفّي الأداء وهو القادر عليه . وحاشا أن أغض فيها من مجهوده الطويل ، وهو من إخواني الدؤوبين الطامحين . وما غاب عنه أننا في عهد جديد يلتمس القيم لغاياتها وينزه القلم عن شوائب الماضي لتكون آثارنا الأدبية والفكرية محررةً خالصةً لوجه العلم والحقيقة .

القاهرة **وداد سكاكيني**

تاريخ التربية الاسلامية

تأليف الدكتور احمد شلبي

منشورات دار الكشاف بيروت — ٤٦٨ ص

•

لعلّ اول ما يواجه الباحث أو المؤرخ لحضارة من الحضارات هو ان يتطلع الى شتى العناصر التي كانت في أساس هذا التفاعل بين الانسان وبيئته ، فيلاحظ العناصر الطارئة عليه من الخارج، ويقرر العناصر التي أوجدها هو . فإذا ما انتهى من دراسة هذه العناصر في ذاتها ، عمد إلى دراسة الاماكن والمؤسسات التي احتضنتها ، والهيئات والإشخاص الذين رعوْها، فاذا به ينتقل إلى البحث في الطرق والوسائل والاشخاص الذين قيّد لهذه العناصر ان تنتشر وتعم بواسطتهم، وهذا ما يقوده بطبيعة الحال الى دراسة

ما ندعوه اليوم بالتربية .

إن الناظر الى الابحاث والمؤلفات التي كتبت عن مختلف الحضارات التي وجدت على ظهر هذه الكرة التي نعيش عليها ، والذي يأخذ نفسه بالحكم على عدل ما أصاب كلاً منها من البحث ، او الاجحاف الذي لحق بها ، ليُقرّ ان الحضارة الاسلامية نالت من عناية باحثي الحضارات ومؤرخيها كثيراً مما تستحق ، وان لم تنل كل ما تستحق . غير ان الملاحظ ، ان هذه الأبحاث وتلك الدراسات التي اتخذت لها الحضارة الاسلامية موضوعاً ، لم تعن بإفراد بحث للتربية عند المسلمين ، كما انها لم تجشم نفسها مؤونة استقصاء هذه الناحيه الفذة من حضارتهم .

يقول الدكتور آرثر اربري ، استاذ الدراسات الاسلامية بجامعة كيمبردج :

« للاسلام على الجنس البشري مآثر تدعو الى الاعجاب وتستدعي الشكران ، ولدينا مؤلفات عدة تصف ما أسهم به المسلمون في ترقية الفنون والآداب والعلوم والسياسة ، ومن الواضح ان المسلمين ما كانوا ليصلوا الى تحقيق هذه الاهداف العلمية الرفيعة لولا حرصهم البالغ على التعلم والتعليم ، ذلك الحرص الذي تميز به الشعب الاسلامي خلال تاريخه الطويل ، فهب رجاله ونساؤه مستجيبين لدعوة الرسول : « اطلب العلم ولو في الصين » . من اجل هذا كانت دراسة المعاهد التعليمية ونظمها عملاً عظيم الاهمية جليل الخطر . »

هذا ما دعا الدكتور احمد شلبي الى الاضطلاع بهذا الامر . فكان لنا من ذلك هذا المؤلف القيّم « تاريخ التربية الاسلامية » الذي يصفه الدكتور اربري فيقول عنه :

« دراسة قوية الدعائم ، وناجحة إلى أقصى حدود النجاح ؛ اعتمد الباحث في إخراجها على المصادر الاصلية المتعددة ، وبخاصة مجموعة كبيرة من المخطوطات التي تيسر له قراءتها اثناء رحلته العلمية إلى اوربة وإلى دول الشرق الاوسط . وأشهد ان الدكتور شلبي ، في اختياره لهذه المصادر وفي دراسته لها وانتفاعه بها قد تجلت فيه مواهب البحاثة الدقيق : من جَلَد وعمق ، وإحاطة وحماسة وامتياز ، ومقدرة على الوصول الى قلب المشكلة ، وموهبة الوضوح وحسن النظام وروعة العرض . وكل هذا جعل الكتاب يسد جانباً ضرورياً من الدراسات الإسلامية . » .

والكتاب ، وإن كان « بستاناً يحمل في رُدْن ، وروضة تنقل في حجر » كما روى ابي عربي عن أحد العلماء ، إلا أنه لن يكون بمقدورنا ، في هذه العجالة الضيقة ، استقصاء كل طلع في هذا البستان ، ولا اجتناء كل نَوْر من هذه الروضة ؛ لذلك سنكتفي بعرض نخبة من أبحاث الكتاب ، محاولين – ما امكن – اعطاء فكرة صحيحة عنه .

يستهل الكاتب بحثه بفصل عن أمكنة التعليم عند المسلمين فيرى أنها تنقسم الى قسمين : قسم وجد قبل انشاء المدارس ، واستمر حتى بعد إنشائها ، والقسم الثاني هو المدارس .

أما القسم الأول فيشمل ثمانية أنواع هي : الكتّاب لتعليم القراءة والكتابة ، والكتّاب لتعليم القرآن ومبادىء الدين الاسلامي ، ثم التعليم الأولي في القصور ، فحوانيت الوراقين ومنازل العلماء ثم الصالونات الأدبية فالبادية وأخيراً المساجد . يثبت المؤلف لنا في هذا القسم أن الكتّاب لتعليم القراءة والكتابة كان دائماً منفصلاً عن الكتّاب لتعليم القرآن ومبادىء الدين . ثم يفصل لنا بعد ذلك الامكنة التي اتخذتها لنا هذه الكتاتيب ، كما يتكلم لنا عن مواد الدراسة فيها وعدد ما وجد منها في بعض المراكز الهامة . وينتقل بعد ذلك إلى الكلام عن التعليم الأولي في القصور وغاياته وبرامجه ويدلل أن تطوره أدى إلى نشوء الكتاتيب العامة ، ثم ينقل لنا بعض الوصايا الرائعة التي توجه بها بعض العظماء إلى مؤدبي أولادهم كوصية عمرو بن عتبة ووصية الرشيد للأحمر ، معلم ولده وولي عهده الأمين ؛ يصف لنا المؤلف في هذا القسم الرفه الذي كان ينعم به مؤدبو أولاد العظماء ، ولكنه لا تفوته ان يذكر لنا أن كثيراً من العلماء كالخليل بن احمد وعبدالله بن إدريس ، رفضوا هذه المنزلة ، على عزها ورفهها ، وذلك إما تمسكاً بحريتهم وحبهم للعلم وإما حباً في إفادة الكثرة المطلقة من الراغبين في أخذ العلم عنهم ، تلك الافادة التي كان يمتنع عليها بذلها لو انقطعوا لتربية ابن عظيم من العظماء .

ثم يتكلم عن حوانيت الوراقين فيقابلها بأسواق العرب في الجاهلية : عكاظ ومجنة وذي المجاز ، ويرى الصلة بينها في أنها ، جميعاً ، جمعت الغاية التجارية والأدبية معاً . ثم يعرض لنا التعليم في منازل العلماء ، ويورد آداب طالب العلم فيها ، كما يذكر دور ابن سينا والغزالي والسجستاني والمعري كنماذج لهذا النوع من مراكز التعليم ، ومنها نعلم ان كتاب أبي حيان التوحيدي الرائع : الامتاع والمؤانسة ، إنما كانت أكثر فصوله نقلاً للأحاديث

والمناظرات التي كانت تجري في اجتماعات الأدباء في بعض تلك الدور .

وينتقل الكاتب بعد ذلك إلى الكلام عن الصالونات الأدبية ، فاذا به يعرض علينا تطورها التاريخي ، ثم يصف لنا الأمكنة التي كانت تجري فيها ، والآداب التي كان روادها يأخذون بها أنفسهم . ثم يعرض لنا نموذجاً عن بعض الاجتماعات التي كانت تدور في تلك الصالونات ، ويبين أن هذه الاجتماعات كانت تحدد اختصاص المجتمعين فيها ، فيوم للأدباء وآخر للفقهاء وثالث للفنانين ، وأنها اكثر ما كانت تقام في قصور الخلفاء والاقيال ، ويسمي لنا بعضهم ثم يذكر اسماء من كان يحضر هذه الاجتماعات وما كان يدور فيها من ابحاث وأحاديث .

وقد يدهش القارىء عندما يرى المؤلف يضع البادية بين الاماكن التي طاب فيها العلم ، ولكن عجبه يزول عندما يعلم ان العرب بعد ان بعدوا عن منبتهم ومالت لغتهم الى الانحراف عن اصولها ، عادوا يصححونها لدى إخوانهم الأعراب الذين لم يبرحوا منبتهم البادية ، فحافظت لغتهم على استقامتها ، وسلمت من اللكنة واللحن والركاكة والضعف . ثم يتكلم عن المساجد وكيف انها كانت منذ نشأتها ، ولا تزال الى اليوم ، مركزاً رئيسياً من مراكز التربية عند المسلمين ،وذلك لصلة التعليم بالدين عندهم . ثم يطوف بنا عبر البلاد والعصور الاسلامية ، ويعرض علينا اثناء هذا الطواف كثيراً من المعلومات الضافية عن المساجد فيها .

ينتقل المؤلف بعد ذلك الى الكلام عن المدارس ، ويبين الحاجة التي دعت الى إنشائها ؛ ويلاحظ انها إنما وجدت لبث التعليم الديني في الاساس ، ولنشر مذهب بعينه في معظم الاحيان . لقد لاحظ ان البويهيين والفاطميين كانوا من الشيعة ، وعملوا كثيراً على نشر مذهبهم ، فلما جاء السلاجقة والايوبيون أحبوا نشر مذهب السنة ، فأنشأوا المدارس المتعددة لهذا الغرض . وكان أكثر من عمل في هذا السبيل ، نظام الملك ونور الدين والايوبيين والمماليك ، وهنا يأخذ النورية الكبرى نموذجاً للمدارس فيقدم لنا عنها دراسة تفصيلية ضافية .

أما الفصل الثاني من الكتاب فيخصصه المؤلف للمكتبات لما رأى من صلتها الوثيقة بالتربية والتعليم ؛ هو يقرر ان هذه المكتبات كانت مراكز يرجع اليها طلاب العلم فيفيدون منها كما يفيدون من العلماء والمدرسين وأصحاب الحلقات . إذ يستهل هذا الفصل بالتدليل على قيمة الكتاب الادبية عند المسلمين ، كذلك يتكلم عن القيمة الادبية للمكتبات ، وبعدها يقدم لنا دراسة ضافية عن المكتبة ، يبدأها بالكلام عن ابنية المكتبات ونظمها ، كما يتكلم عن الفهارس ونظم استعارة الكتب والموظفين الذي يقسمهم الى اقسام ، هي الخزنة والمترجمون والنساخ والمجلدون والمناولون .

إن القارىء لينهي هذا الفصل وقد تكوّنت لديه فكرة واضحة عن خطر الدور الذي قامت به المكتبات في العصور الاسلامية ، كما يلمس الصلة الوثيقة بين حركتين علميتين وبين المكتبة . هاتان الحركتان هما : حركة الترجمة والنقل ، وحركة النسخ .

ويتكلم المؤلف في الفصل الثالث عن المدرسين ، فيستهله بملاحظات أهمها :

عدم التفريق في القرون الوسطى بين العلماء المدرسين والعلماء الذين لم يتخذوا التدريس مهنة لهم. ثم عناية المسلمين بأخذ العلم عن المدرسين وكرههم لتلقي العلم عن الكتب وحدها . ثم تنبّههم الى ضرورة إجادة المعلم لفن التربية بالاضافة الى ما يعيه من العلم . واخيراً كلامهم بإسهاب عن علاقة البيت بالمدرسة وأهمية الدور الذي يلعبه البيت في نجاح الطالب .

وبعد ان يتكلم المؤلف بإسهاب عن اخلاق المدرسين وواجباتهم ينتقل إلى الكلام عن الاجازات العلمية والشهادات والعقوبات والجوائز وملابس المدرسين ونقابتهم .

ويخصص الفصل الرابع للكلام عن التلاميذ ، فيصور لنا صعوبة طلب العلم والحصول عليه في تلك الايام ، كما يبين

صدرت :

قصائد دافئة

للاستاذ احمد ابو سعد

منشورات اسرة الجبل الملهم

بيروت

وكلاء التوزيع في الأقطار العربية

شركة فرج الله للمطبوعات

الحوافز التي دعت التلاميذ إلى تخطي تلك الصعوبات . وهنا يورد لنا آراء الغزالي وابن سينا في رياضة الاطفال ، ثم يعقد فصلاً ممتعاً للكلام عن تكافؤ الفرص في التعليم لجميع أطفال المسلمين ، وعن توجيههم حسب مواهبهم وعن عددهم في الفصل او الحلقة ، والعناية بهم عقلياً وجسمياً . ثم يفصل الكلام عن اخلاقهم وواجباتهم وصلاتهم بعضهم ببعض ، إلى أن يتكلم عن الرحلة في طلب العلم وعن تعليم المرأة . فإذا به يعرض علينا لوحات رائعة عن ثقافة المرأة في تلك العصور وتبريزها في مختلف الفنون كالموسيقى والطب واللغة والعلوم الدينية .

وهنا نأتي إلى الفصل الخامس وقد خصصه المؤلف لرعاة العلم وفلسفة النظم بالمعاهد العلمية . يتكلم في هذا الفصل عن المأمون ونظام الملك ونور الدين زنكي وصلاح الدين الايوبي ؛ وبعد ان يعرض علينا بأيجاز ما قام به هؤلاء في حقل التربية يعود الى تفصيل الكلام عن نظام الملك الذي يعد بحق الراعي الاول لأكبر حركة تعليمية في الشرق الاسلامي .

أما الفصل الاخير فيخصصه المؤلف للكلام عن المذهب الاسماعيلي في مصر لما فيه من صبغة خاصة في تعاليمه ، وخطط جديدة في نشره والدعاية له .

والآن وقد أعطينا صورة مصغرة لأبحاث « تاريخ التربية الاسلامية » فإنه يطيب لنا ان نقدر هذا الجهد الضخم الذي بذله المؤلف في جمعه وتأليفه . فالحقيقة ان نتاجه اقتضاه قراءة عدد كبير من الكتب والمراجع المطبوعة والمخطوطة ، ثم اقتضاه رحلات طويلة سعياً وراء هذه المعلومات الضافية الشافية . إننا نلاحظ بكثير من الاعجاب ان المؤلف لم يكتف بجمع هذه المعلومات وتبويبها ، هذا الجمع والتبويب الرائعين ، وإنما كان في معظم الأحيان ينطلق منها الى صوغ أحكام فيها كثير من الصحة ، والى بناء نظريات حديثة تساعد كثيراً في تفهم التطور الخلاق لهذه الناحية الهامة من حضارة الاسلام . ان المؤلف ليضع امامنا التربية الاسلامية تمثالاً رائعاً ، إذا فاتته بعض التفاصيل الكاملة لهيكله ، أو غمضت فيه بعض الانحناءات الدقيقة اللازمة لمجموعه ، فإنه لا يعدو ان يكون تجسيداً رائعاً ، نطمئن اليه في سعينا للاحاطة بالتربية عند المسلمين وإذا كان علينا أن نزجي الشكر جزيلاً للمؤلف على اتحافه المكتبة العربية بهذا السفر الجليل فانه لا يفوتنا ان نأخذ عليه بعض الهنات :

فمثلاً نراه عند الكلام عن الدواوين العربية يقول : إنها ترجمت للعربية ، والصواب أن يقول : إنها أخذت تصطنع اللغة العربية ؛ إذ في قوله : ترجمت للعربية ، ما يخطر بالذهن ان الدواوين معلومات ثابتة لا تتغير ، ترجمت من اللغة التي كانت مكتوبة بها إلى اللغة العربية ، والصواب أن هذه الدواوين هي هذه المعلومات والمعاملات والاحصاءات الحكومية المتجددة دوماً ، والتي كانت تكتب بغير اللغة العربية قبل عهد عبدالملك بن مروان وإبنه الوليد فاصطنعت العربية لكتابتها بأمر من هذين الخليفتين .

كذلك نأخذ على المؤلف عدم تحديده العصر أو العصور التي أصدر عليها بعض احكامه عند دراسته لموضوع من مواضيع التربية ، فان كان عند استنتاجه لبعض الاحكام يرتكز على شواهد من صدر الدولة الاسلامية ثم إذا به ينتقل إلى القرن السابع او الثامن لاستكمال هذه الشواهد ، على ما بين هذه العصور من الاختلاف في الزمن والعقلية مما كان يشعر بتنافر المقدمات المؤدية للنتائج في بعض أحكامه .

وإذا انتقلنا إلى كلام المؤلف عن العلاقة بين البيت والمدرسة رأينا انه يوهم أن المسلمين تنبهوا لضرورة الاشتراك بين البيت والمدرسة في تبادل النصائح والمعلومات عن الطفل ، كما هو مطلوب وملاحظ في التربية الحديثة . ولكن الحقيقة هو ان النصوص التي اوردها المؤلف لاتفيد ذلك ، وإنما تدل فقط على ضرورة بذل الاعتناء للطفل في البيت كما يبذل له في المدرسة وذلك للوصول به إلى النجاح .

ثم إننا نلاحظ أن حكم المؤلف بوجود النقابات عند المسلمين في العصور الوسطى فيه — اذا اعتبرنا الشواهد التي اوردها — خروج عن معنى النقابات كما نفهمها اليوم ، وكما فهمها مجتمع

صدر اليوم

في سلسلة

قصص للشباب والطلاب

ثورة الحرية

للاستاذ محمد المجذوب

دار العلم للملايين

نغم جديد

«قلقيليا» قرية على الحدود يعمل اهلها في النهار بزرع الأرض وفي الليل يصدون الاعتداءات اليهودية اليومية ... فالى اهالي «قلقيليا» والخطوط الأمامية البواسل أهدي هذه القطعة ...

•

قلقيليا
جبل من الدم والحديد
جبل يثور ولا يريد
عيش العبيد .
قلقيليا
بالنار تغسل جرحها
بدم الشهيد
وتستزيد
في كل يوم صرخة
« ارض الجدود
بالروح نفديها ولن نرضى الحياة
إلا بتحطيم القيود »
وتظل تصرخ من جديد
فوق الصخور الشامخات الى العلاء مع الدخان
عَبْر المغاور والحصى
عند الحدود
خلف المقابر والرمال ودمدمات الثائرين
ووشوشات الزاحفين
على الحواجز والسدود
وغناء راعية تردد ما وَعَتْه وتستعيد
أيامها الاولى التي ولّتْ
مع البيت الفقيد
وبنادق الحرّاس ترقب في الدروب
برصاصها العفن القليل
وحشرجات من بعيد

★

ما زلت أسمع مشية الأبطال للثأر العتيد
قسماً بنكبتنا
لنا ثأر عتيد !
ومع العشية يصرخ الصوت العنيد
« قلقيليا .. نغم جديد
نغمٌ .. من الدم والحديد » !

سمير صنبر

القرون الوسطى الاوربي وأقرها كأنظمة محددة لمهنة من المهن ، وكنظام اقتصادي خاص يسير عليه مجتمع من المجتمعات ؛ إذ أن كل النصوص التي اوردها للتدليل على وجود هذه النقابات عند المسلمين إنما تنحصر في إطلاق هذا اللقب على نقيب الاشراف وعلى نقيب القائمين بالتدريس او بالدعوة للمذهب الاسماعيلي . وإذا جاز لنا ان نجاري المؤلف في اعتبار هؤلاء الدعاة والملقنين من الهيئة التعليمية لقيامهم بعمل فيه طبيعة نقل المعلومات إلى الناس ، فإنه لا يجوز لنا قبول التعميم الذي قام به بالحكم على وجود النقابات في المجتمع الاسلامي من وجود رئيس للمدرسين او الدعاة او الاشراف او الطالبين يُدعى نقيباً . إن وجود نقيب لهذه الفئات الخاصة لا يفيد وجود سائر الهيئات والمهن ، بله وجود نقابات بالمعنى الاقتصادي التاريخي والحالي المعروف ؛ أضف إلى ذلك أن وظيفة النقيب – كما تفهم من النصوص التي أوردها المؤلف – إنما كانت في معظم الأحيان وظيفة حكومية ، في حين أن النقيب لمهنة من المهن كان شخصاً ينتمي إلى فئة خاصة من الشعب تؤمن ناحيـــة من نواحي اقتصاد المجتمع الذي تعيش فيه .

وإن كان لا بد لي من ختم هذه الكلمة العجلى عن الكتاب ، فإني أراني بحاجة إلى تكرار شكر المؤلف على هذه الثروة التي اضافها إلى كنوز المكتبة العربية ، وعلى هـذا الدليل الذي وضعه بيد كل عربي لتقوية إيمانه بهذا التراث الذي عليه أن يعمل على تنميته وإيصاله إلى المستوى اللائق به ، كما لا يفوتني ان أقدم الشكر لدار الكشاف ، ناشرة الكتاب ، التي ما فتئت تجلو لنا أمثال هذه الكنوز والدرر فتسهم بذلك في النشاط العلمي والأدبي إسهاماً تشكر عليه .

زهير فتح الله